الفينومينولوجيا عند هوسرل وسؤال الفلسفة
- البدء والأصول-

the phenomenology of Husserl and the question of philosophy
-start and origins-

أ. سعيدي خديجة -جامعة ابوبكر بلقايد- الجزائر

ملخص: جاءت الفينومينولوجيا من أجل إعادة صياغة السؤال الفلسفي صياغة تجعل منها فلسفة بمعنى صارم ودقيق، وأن تصير ذلك العلم الكلي الشامل، قام هذا التوجه على مجموعة من القواعد أهمها القصدية والرد والعودة إلى الأشياء عينها، بحثا عن الأصول الحقيقة والبدء الأصلي.

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا ، الفلسفة، البدء، الأصل، القصدية.

Abstract: Phenomenology came to rephrase the philosophical question, a formulation makes it philosophy in a strict and precise sense, and become a comprehensive science, phenomenology has a set of rules the most important of which is the intention, and the reply, and back to the same stuff, in search of real assets and start up.

Keywords: phenomenology, philosophy, start, origin, intention.

مقدمة:

لقد شهد الفكر الفلسفي الكثير من الحركات والمنعطفات، وتعتبر الفينومينولوجي La (Phénoménologie) المؤسسة من قبل الفيلسوف الألماني ادموند هوسرل (Husserl) (1859-1938) من بين أهم حركاته

والجديد في هذا الطرح الفلسفي، هي تلك الانطلاقة المؤسسة على سؤال جوهري حرك مسار هذا التوجه من بدايته إلى نهايته وهو: كيف يمكن للفلسفة أن تصير علما صارماً؟

لقد لاحظ هوسرل أن الفلسفة في الوقت الحاضر تعيش حالة أزمة، سببها محاولة محاكاة مناهجها لمناهج العلوم الطبيعية، فرأى في الفينومينولوجيا المخلص الشرعي لها من أزمتها فهي العلم الجديد وارض الفلسفة الموعودة، وتعتمد الفينومينولوجيا في قيامها أساسا على الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية لها، أي تلك الخبرة الواعية للظاهرة، فهي تعطي وصفا للظاهرة يكون بعيدا عن تلك الوسائط المادية التجريبية بمعنى تحليل الظاهرة تحليلا عقليا فهي بذلك العلم الذي يدرس خبرة الوعي، دراسة مزدوجة، تتعلق الخبرة الأولى بالأشياء في حين تتجه الثانية إلى خبرته بذاته. معتمدا في ذلك على مجموعة من العناصر أهمها قصدية الوعي والايبوخي Epoché الفينومينولوجي الذي سوف يتطور إلى إجرائية أخرى سيصطلح عليها هوسرل في عمله فكرة الفينومينولوجيا 1905 بالرد Ruduction .

وبهذا فنقطة الانطلاق عند الفينومينولوجي ليست الذات المنغلقة على نفسها ولا الموضوع المطلق المغلق على نفسه، بل هي الشعور والوعي الإنساني، المُشَكّل في حدس كوني الذي يعتبر مشرّعا للمعرفة، بل المصدر الأساسي لكل المعرفة الإنسانية، فالإدراك الإنساني في الفينومينولوجيا هو إعادة وعي بشيء ما ويتجه نحو شيء ما أي له قصد يتوجه نحوه ويَعنيه، فهي بذلك ثورة على الاتجاه التجريبي والوضعاني والنّفساني، كما جاءت أيضا كحل لأزمة التي كانت تعيشها الفلسفة والإنسانية بصفة عامة، ففي الوقت الذي كانت فيه الأنساق الفلسفية تختلف وتتعدد، كان يقابلها تطور علمي فائق يتميز بالانتصارات العظيمة في المجالين التكنولوجي والرياضي وعلى الخصوص "علم النفس" الذي سعى في تبني المنهج التجريبي فأصبح المعيار العلمي هو المعيار الوحيد الذي يقود إلى الحقيقة إلا أنه أصبح معيارًا يشكل عقبة تهدد كيان هذه العلوم نفسها، فلم يبقى الأمر على ما هو عليه إذ سرعا نما انهارت الثقة المطلقة في العلم وطرحت فكرة نسبيته عن طريق إثبات العلماء انه يمكن للنتائج العلمية أن تخطئ وليست كل النظريات تحمل في ذاتها إطلاقية بحيث إمتدت هذه النسبية إلى المنطق والرياضيات حيث طرحت مسألة إستقلالهما عن علم النفس أي عن تلك العلاقة القائمة بين المفاهيم الرياضية والمنطقية وعلاقتها بالشعور أو بالأفعال النفسية، وكانت أكثر المحاولات حلاً لهذه الأزمة، تلك المحاولة التي مثلتها" الكانطية الجديدة" في ألمانيا باعتبار أنها كانت تقيم فصلا بين الذات الخالصة والذات السيكولوجية وبهذا يكون هناك إنقاذ لموضوعية المعرفة، إلا انه لم يكن حلا كافيا فمكان يتطلبه الأمر هو فلسفة تعيد الاعتبار للذات التي محت العلوم وجودها المتحقق.

التصور الهوسرلي لفكرة العلم الكلي:

عندما كتب افلاطون يوما على باب الأكاديمية " لا يطرق بابنا من ليس رياضيا " وكأن عبارته هذه كانت تحمل شعورا تنبؤيا بقدوم شخص يحمل هذه الصفة قد يقدم شيئا للفلسفة فجاء ادموند هوسرل من أرض الرياضيات ليقيم على أرض الفلسفة تلك الأرض التي وجدها عالقة في تربة من الأزمات التي طالت حتى البشرية، وأصبح يبحث عن حل يقدمه لها فجاء بمنهج جديد وحاول أن يجعل منها المخلص الروحي للازمات، أزمة الفلسفة، وأزمة المعنى وأزمة البشرية بكل ما تحمله من تراث واعتقاد وأخلاق.

إن الأزمة بالمعنى الفينومينولوجي تشير لذلك الريب الذي انصب في البداية على نموذج المعقولية وشمل الفلسفة واثّر على مهمتها كعلم كلي، فالفلسفة فقدت مصداقيتها بالمقارنة مع ازدهار العلوم فهي لم تعد ذات أهمية، لهذا يجب أن تكون علما كليا مثلها مثل: الرياضيات والفيزياء، للتجاوز أزمتها.

ولكن ماذا يقصد هوسرل بالفلسفة كعلم كلي؟

أولا: العلم يأخذ عند هوسرل ذلك الشكل المعرفي المحتوى على الأساس الكلي لكل موضوعية، وعلى الوضوح الذاتي وعلى الافتراض الأكبر الذي ليس بعده افتراض أي الأنا المطلق والوعي الخالص والحياة المعاشة، فالعلم هو العلم بالماهيات والأسس والأصول.وهو شكل من أشكال البشرية وهو الفكرة المحيطة بكل شيء، ذا نظرنا إليه تاريخيا فانه مفهوم اختزالي، فهو تخلى عن كل تلك الأسئلة التي تدرج تحت المفاهيم الضيّقة تارة والواسعة تارة للميتافيزيقا(ادمند هوسرل، 2008 ، ص 48) ، أما كلي وكليّة (Universalité) المنهج العلمي، أي على الفلسفة أن تدخل تحت مفهوم العلم، فهوسرل لم يستعن بالرياضيات لإقامة هذا العلم الكلي وإنما كانت الانطلاقة لديه انطلاقة منطقية محضة انطلاقة جعلته يتحرر من الاعتقادات التي سبقته حول الفلسفة ليؤسس علم كلي دقيق متحرر من الأحكام السابقة(علي الحبيب الفريوي، 2008، ص 12).

إن هذا العلم الكلي الذي تنشده الفينومينولوجيا هو ذلك العلم الذي يريد أن يجعل من الفلسفة علما صارما متحررا جذريا من كل الآراء والأحكام المسبقة، حيث تحيط بكيفية علمية دقيقة وصارمة بالأسئلة المعقولة عموما في وحدة نسقيه، فالحاجة إلى هذا العلم الكلي هي حاجة إلى بناء واضح يضم حقائق نهائية ويسعى لحل المشاكل المعرفية، بما فيها المشاكل الحياتية للإنسان، أي علم بالمبادئ الحقيقية وبالأصول.

فالعلم الكلي هو علم ما هو جذري، الجذريُّ الانطلاقة والتدشين، فتدشين هذه الفلسفة الجديدة أو العلم الكلي هو تدشين للبشرية الحديثة وبالضبط كبشرية تريد، بالمقارنة مع البشرية الوسيطة والقديمة، هو علم يجعلها تتجدد جذريا من خلال فلسفة جديدة.

والطريق الوحيد لجعل الفلسفة الشاملة تحقق في مسار ملئ بالعمل هو دفع العقل الكامن إلى الفهم الذاتي لإمكانياته وبالتالي جعل إمكانية الميتافيزيقا بنية كإمكانية حقيقة، وهي أيضا الطريق الذي يؤدي إلى معرفة الأسس الأخيرة أي الطريق الذي يؤدي نحوى وعي الذات

بذاتها، أي بالوحدة الذاتية أولا، ثم بالاشتراك بين الوحدات الذاتية الأخرى ثانيا، وهو يشمل كل علم حقيقي مسئول عن ذاته.

النقد الهوسرلي للنفسانية:

إن أول علم خصه هوسرل بالنقد من اجل بناء صرحه الفينومينولوجي هو علم النفس، أو ما يعرف بالنزعة النفسانية التي كانت سائدة في عصره، و لكن لماذا علم النفس؟ هناك حسب هوسرل تقارب بين الفينومينولوجيا (والنّفسانية)، إن تاريخ الفلسفة تاريخا للنّفسانية، أي تاريخ ما قبل فينومينولوجي وما دون الفينومينولوجيا(محمد محسن ألزارعي، 2009، ص184) وذلك راجع إلى اعتبار إن كل واحد منهم يهتم بدراسة(الماهيات والشعور) إلا أن علم النفس يهتم بالشعور والوعي باعتباره شيء موجود في الطبيعة، في حين تهتم الفينومينولوجيا بالوعي الخالص أي الوعي والشعور من وجهة نظر ظاهراتية، (فالنّفسانية) تحدد حسب هوسرل على أنها تؤدي إلى نزعة سلبية ومتطرفة بل وريبيّة تقضي على طموح العلم نحوى إنشاء معرفة صارمة لها صلاحية موضوعية، وهوسرل عندما يحدد الفرق بينهما حسب هوسرل أن علم النفس يهتم بالشعور التجريبي أي الشعور من الوجهة التجريبية كما هو قائم في النظام الطبيعي بينما تهتم الفينومينولوجيا بالشعور الخالص، أي الشعور من الوجهة الفينومينولوجية(ادموند هوسرل، 2002، ص20).

إن النّفسانية نوع من التفكير الساذج الذي ميّز العصر الحديث وتأتي سذاجتها من استنادها إلى أساس طبيعي فيزيائي محتذية بذلك الطريق الذي رسمه لها العلم الوضعي، فهي لا تزال تفتقر حتى الآن إلى قوانين صحيحة ومن ثم دقيقة، وإن القضايا التي تضفي هي عليها اسم قوانين ليست سوى تعميمات للتجربة قد تكون ثمينة جدا لكنها مع ذلك غامضة، وليست سوى أخبار عن الإنتضامات التجريبية للتواجد أو التعاقب، مثلا قوانين تداعي الأفكار التي تريد السيكولوجية أن تضفي عليها رتبة القوانين السيكولوجية الأساسية ودلالتها، فهي تفتقد على الفور إلى صياغة معناها المبرر أمبيريا صياغة مطابقة(ادموند هوسرل، 2010، ص27)، ويقصد هوسرل بذلك تلك القوانين التي يبني عليها علم النفس تصوره محاكيا في ذلك المنهج الطبيعي وهي بالتالي قوانين تفتقر إلى الدقة واليقين، لأنها تعتبر العمليات المنطقية عمليات سيكولوجية تجري واقعيا في الذهن البشري، وان القوانين التي تسمى منطقية ليست سوى القوانين العامة التي تجري حسبها هذه العمليات، إذن القوانين المنطقية هي بالنسبة للعمليات السيكولوجية بمثابة القوانين الطبيعية بالنسبة لظواهر العالم المادي فهي تفسر المنطق انطلاقا من السيكولوجية، فعلم النفس هو علم وقائعي بالدرجة الأولى يتخذ من التجربة، نقطة انطلاقا له فقوانينه **ليست أكثر من** تعميمات تجريبية غامضة، لبيان ذلك يلجأ هوسرل إلى مثل الحكم، إذ أن النزعة السيكولوجية لا تميز بين الحكم بوصفه عملية سيكولوجية تجري واقعيا والحكم بوصفه مضمونا موضوعيا مستقلا عن الانجاز الفعلي لهذه العملية من طرف وعي ما، أما الثاني فلا يقبل هذا النوع من الوصف، فالأول هو عملية واقعية تجري في الزمان، أما الثاني فهو يتمتع بصلاحية فوق زمنية، مثلا الحكم بأن(2+2=4)هو بالمعنى الأول عملية واقعية قد تجري اليوم أوغدا وقد تجري مني أو من غيري. أما الحكم(2+2=4)مضمونا

موضوعيا فهو لا يتكرر، وهو يتمتع بصلاحية موضوعية سواء تم إنجازه بالفعل أم لا (ادموند هوسرل، 2008، ص14)، كما أن النزعة النفسانية تخلط السؤال عن التفكير الصحيح مع الوصف التجريبي لعميات الفكرية، أي تخلط بين الفكرة بصفتها ما يتم تفكيره وبين عملية التفكير، فعلم النفس لا يؤلف عالما قائما بذاته وكل تحديد نفسي هو تحديد فيزيائي.

فالنّفسانية بالمعنى الكامل تمثل حسب هوسرل غلطة كبرى تنطوي على نتائج خطيرة، فالمبادئ الأساسية التي يسري فيها هذا الفرع من علم النفس هو استبعاد كل تحليل مباشر وخالص للشعور أي استبعاد التحقيق المنهجي للتحليل ووصف المعطيات التي تقدم نفسها في مختلف الاتجاهات الممكنة للرؤية المحايثة، من اجل القيام بتثبيتات غير مباشرة لكل الوقائع النفسية، فمن غير الواجب أن نقيس المنطق على أساس نفسي، لذلك يجب حسب هوسرل تصحيحه علم النفس وإعادة بنائه بشكل يصبح فيه خالصا بعيدا عن الطبيعة من أجل أن يكون شكلا من أشكال الولوج إلى الفينومينولوجيا، أي الفلسفة الخالصة، فالغلطة الأساسية في علم النفس والتي تحول بينه وبين أن يكون علم للنفس بالمعنى الحقيقي، والعلمي الكامل هو انه لم يتعرّف على هذا المنهج الظاهري ولم يطوره فهو اكتفى وبسبب الأفكار التاريخية المسبقة من استخدام الميول المتضمنة في كل تحليل موضح للتصورات. ويرتبط بهذا أن الغالبية العظمى من علماء النفس لم تفهم بدايات الظاهريات وهي البدايات التي كانت قائمة من قبل بل إنهم في الواقع كانوا منظرون للبحث الماهوي المنفذ من وجهة نظر حدسية والذي لا يمكن نفيُه أو إثباته إلا من وجهة نظر حدسية.

البدء والعودة إلى الأصول:

في أحد الرسائل التي بعث بها إلى رودولف أوتو يرى هوسرل أنه ليس لزماننا من شوق أعظم من رؤية الأصول الحقيقية تعبر عن نفسها أخيرا وتبلغ بالمعنى الأرفع، عبارتها الأخص، اللوغوس(فتحي انقزو، 2006، ص33) هو شوق للأصول الحقيقية أغفله الفكر الفلسفي وحاولت الفينومينولوجيا استعاده من أجل إعادة صياغة سؤال البدء الذي أصبح مطلبا ضروريا داخل الفينومينولوجيا والبحث عن تلك الأصول التي هي موطن حقيقة الأشياء ونموذجها الخالص.

لقد مثلت فكرة البدء والأصل إشكالية مهمة داخل مختلف الفلسفات، وليس الفينومينولوجيا فحسب ولكنه مع هده الأخيرة بلغ أهميته، فماذا يقصد بفكرتي الأصل والبدء؟، هناك اختلاف فلسفي بين مفهومي البدء والأصل، فالبدء قائم على إمكانية تحديده وهو قابل للتقويم، فحين لا نستطيع تحديد الأصل وحده بحدود زمنية فالأصل ليس هو الابتداء الذي ينشأ منه التطور، وهو لا يؤسس اللحظة التي لم يكن ليحدث قبلها أي شيء.

في حين يتحدد مفهوم البدء في الفينومينولوجيا على انه :لا زماني و انه يرتبط بجانب الانجازات فهو موقف مطلق للتفكير لا هو يثق في افتراضات مشتقة من النظر الميتافيزيقي إلى الأشياء من حيث هي طبائع نظرية مكينة ولا بوسعه التلفت نحوى التقاليد التاريخية التي

كرست هذه الطبائع (فتحي انقزو، 2006، ص24)، فالبدء لا يفترض شيئا من المعاني التي تسبقه ولا يكترث لها أصلا بل هو مطلق عن كل وضع سابق بطبعه .

في حين يحيل **الأصل** إلى ذلك الاستدراك للأفكار الضائعة في سلسلة التاريخ فالأصول لا تتبدى للناظر ضمن الموقف التاريخي الذي جعلها ممكنة وإنما بما هي نموذجية ولا يقصد منها غير تجريدها من سلبية التداول التاريخي وتقاليد الشرح (فتحي انقزو، 2006، ص80) ويمكن في لحظة الوعي الخالص أو ما يعرف بالإشراق الفينومينولوجي هذه أن يعود الوعي إلى أصوله الخاصة، أي إلى تلك الأشياء الجوهرية التي أصبحت غامضة أو اختفت أو احتجبت بسبب تراكم أشياء غير جوهرية، وهذه هي نقطة الوعي الخالص، الوعي بما هو وعي، نقطة النظر للواقع باعتباره ظاهرة خالصة تظهر داخل الوعي الإنساني الجمعي.

فالفلسفة في الفينومينولوجيا لا يمكن أن تفهم إلاّ على ضوء معاودة سؤال البدء مثلما وقع بدؤها في الأصل فهي تحتاج أيضا إلى الاتجاه دوما إلى بداية مطلقة يطالب الفيلسوف بمقتضاها أن يستمر في التفكير والتفلسف من خلالها. فهنا حسب هوسرل بدايتين الأولى بداية تيه، وهي لحظة زمنية، أو هي بداية تسلسل زمني حلقاته تحسسات متفاوتة الاهتداء.البداية الثانية إذن تطلق العنان لنظام لا زمن فيه ولا تعاقب فالبداية الثانية هي بداية الفينومينولوجي التي تمثل لحظة التأسيس المطلق للفلسفة الذي لا تأسيس بعده(محمد محسن الزارعي،2008، ص133).

فكيف يكون البدء الفلسفي ؟

إن هوسرل يعيّنُ للفلسفة بدءا فعليا " مطلقا "يكون البدء من خلال ذلك النقد الذي يجب أن نقدمه للمعرفة، والذي يمثل مهمتها الراهنة وبدؤها الفعلي وهو نقد قائم على التميز بين مقامين هما المقام الطبيعي والمقام الفلسفي أو بين موقفين أحدهما طبيعي والأخر فلسفي يطمح إلى الصرامة،وهو تميز يستعيد به هوسرل الفصل بين الفكر الذي يهيئ له أفقا جديدا "الفينومينولوقجيا" وما اعتاد الفكر الاستناد عليه من تلقاء نفسه "الوجود الطبيعي "أي الانقياد نحو الوجود بما هو موجود.الوجود الطبيعي ذالك الذي يركن إليه العقل البشري بكونه يعطيه خبرة يستمد منها أساسه "أساس موضوعيا وانطولوجيا للعقل(ادموند هوسرل، 2005، ص9).فمشكل البدء الفلسفي الحقيقي هو مشكل واقع داخل إطار نظرية المعرفة هذه الأخيرة التي يجب أن تلعب دورا نقديا بالدرجة الأولى إذ يجب عليها أن ترفع الأخطاء التي يقع فيها التأمل الطبيعي في العلاقة بين المعرفة والمعنى المعرفي وموضوع المعرفة، والعلم ومن جهة أخرى أي يجب عليها أن تدفع تبعا لذالك التصور الشّكي بإظهار ما فيها من أخطاء في ما يتعلق بماهية المعرفة.وتكمن مهمتها الأخرى في الفحص عن ماهية المعرفة فحصا من شانه أن يفض المشكلات التي يختزنها التضايف بين المعرفة والمعنى المعرفي وموضوع المعرفة، ومن هذه المشكلات ما يختص بإيضاح معنى الماهية للموضوع، والاضطلاع بهذه المهمات هو الذي يمكن نظرية المعرفة حتى تصير نقدا للمعرفة.لأنها حسبه تجعلنا قادرين على تأويل نتائج العلوم الطبيعية الخاصة بالموجود على نحو من الصحة والتمام.

سلبية الموقف الطبيعي وأثرها على نظرية المعرفة:

ما أوقعنا فيه الموقف الطبيعي من اضطراب نظري بصدد إمكان قيام نظرية في المعرفة امتد أثره إلى إحداث تأويل خاطئ حول الوجود المعلوم في العلوم الطبيعية، أي للمعنى الحقيقي للعالم .ففي الموقف الطبيعي لا يكون العالم الواحد موضوعا، لا يكون محط اهتمام. فالاهتمام ينصب على الموضوعات في العالم. العالم هو سياق الإحالة الذي تندرج فيه الموضوعات بالنسبة للوعي القصدي. بفعل هذا السياق تتم إحالة الوعي من موضوع إلى موضوع.

إن الموقف الطبيعي هو الموقف الذي يتخذه الإنسان من العالم تلقائيا وضمنيا قبل كل فلسفة (فتحي انقزو،200، ص23) فالفكر الطبيعي هو نظام من البداهات المبني بعضها فوق بعض بغير وجه من ووجوه النقد بمعنى انه موقف لا يولي أية أهمية لنقد المعرفة، وهو فكر لا يساءل المعرفة عن إمكانها وإنما يتقبل المعرفة كما ترد إليه فالمعرفة في الموقف الطبيعي تأخذ معنى أنها جزء من الطبيعة وامتدادا لها بوصفها معيشا تحمله الكائنات ،فموقف الروح الطبيعي لا ينشغل أبدا حسب هوسرل بنقد المعرفة ففي هذا الموقف ننقاد بالنظر والفكر من جهة «الأشياء» المعطاة لنا كل مرة، والمعطاة لنا على نحو ما هي بينة بنفسها، وان كان ذالك على أنحاء متباينة، وبحسب ضروب وجود مختلفة، إما من جهة مصدر المعرفة أو من جهة رتبتها فالفكر والحدس في الموقف الطبيعي يميل إلى الأشياء المعطاة فالإدراك مثلا يتعلق بالأشياء التي توجد تحت طائلة اليد.انه موقف يتعلق بما تعطيه التجربة المباشرة التي نبني عليها الأحكام والقضايا سواء كانت جزئية أو كلية التي نقيمها حول الأشياء، في الإدراك مثلا، وهو أمر بين بنفسه عندنا، يمكث الشيء قبالة ناظرين هنا من بين أشياء أخرى، ذات حياة، ذات نفس وغير ذات نفس، كذلك هي وسط عالم يطال الإدراك بعضا منه كما يطال الأشياء المفردة، ويعطي بعضه الأخر لائتلاف، فيقع من هنا في المجهول.وتتعلق أحكامنا بهذا العالم، فإذا بنا ننطق بأقاويل بعضها خاص وبعضها عام وهي أقاويل في الأشياء والعلاقات التي بينها فنحن نعبر عما تعطيه التجربة المباشرة (ادموند هوسرل، 2005، ص 49) بالإضافة إلى كونه موقف مبني على التدرج المنتظم للمعرفة والعفوية في التسليم بوجود الواقع الفعلي وهو مبني علوم الطبيعة الفيزيائية وعلم النفس وهو موقف يتجه إلى حل التناقضات والصعوبات، لان ما تطرحه المعرفة نوع من الجدل المباشر مع نفسها تحتكم فيه المعرفة التي تؤخذ بالمعنى العلمي على مواجهة المصاعب. في الموقف الطبيعي نكون مقتنعين تلقائيا بان الموضوع قائم في ذاته وان وجوده يتعالى على ظهوره الذاتي النسبي. بهذا المعنى فان الوعي يصدر في الموقف الطبيعي دائما حكما ضمنيا حول وجود الموضوعات انه يتضمن في العادة وضعا أو إثباتا لوجود موضوعه (ادموند هوسرل، 2009، ص20). فالمعرفة من حيث ماهيتها هي معرفة متصلة بالموضوع، أما فيما يخص موضوع الفكر الطبيعي تلك التساؤلات القبلية التي بين الدلالات والقوانين القبلية التي تنتمي إلى الموضوع من حيث هو كذلك وكل هذا يكون ضمن عمومية صورية، فهي في نموها

الثابت والموقف ضمن مختلف العلوم، واثقة كل الثقة في صدقها ، وليس لها أي موجب حتى تجد أي عائق في إمكان المعرفة وفي معنى الموضوع المعروف.

الموقف الفلسفي:

هو كل ما يوجد في تيار الوعي ، ويحوي المعايش القصدية ، والمتفكرات الفعلية والقولية ، ويشمل أيضا كل عنصر دفين في تيار الوعي وفي أجزائه المتعينة فالموقف الفلسفي هو مقام يقوم على النقد، نقد للعقل الطبيعي الذي يقوم على ما تستقبله الحواس ،أي علم بماهية المعرفة ومضامينها انه مقام انطولوجي وميتافيزيقي في نهاية المطاف. فالموقف الفلسفي إذا هو انطولوجيا ميتافيزيقية من حيث هي علم بالنقد ،أي علم بماهية المعرفة، والفينومينولوجيا هي فقه شروط هذا العلم على غير المعاني المشتقة عموما مما تداوله التراث الحديث من هذه الألفاظ ولواحقها(ادموند هوسرل،2005، ص14)، فإمكان المشروع الفينومينولوجي مرهُونٌ بضرورة التخلّص، من ترسبات المعاني من خلال العودة إلى الأصول، الفلسفية والعلمية، لأجل تحصيل البدء (Commencement) بما هو مطلقُ الفِكْرِ الذي لا يثق في الافتراضات المُسبَقَةِ والأحكام السطحية الغير دقيقة التي كانت سبب فشل الفلسفات السابقة .

فالبدء الفينومينولوجي الحقيقي يكون من خلال العودة إلى دراسة ذلك المباشر والمباشر في نظر هوسرل ليس العالم المحسوس، كما يذهب إلى ذلك التجريبيون والحسيين، لان التجربة الحسية لا يمكن أن تعطينا اليقين الذي يستبعد الشك في العالم المحسوس. وإنما ذلك المباشر الذي يعتمد على الماهية الخالصة. فالفلسفة بقدر ما ترجع إلى أصولها، النهائية، فإنها تتعلق في تحققها بماهيتها، وهي أن عملها العلمي إنما يتحرك داخل منطق الحدس المباش، فالإدراك الظاهري للماهية(الحدس المباشر) يفتح ميدان لا حد له للعمل، ويقوم علم يكتسب بغير استعانة بكل المناهج الرمزية والرياضية غير المباشرة، ويكتسب كثرة من أدق المعارف وأكثرها حسما، لكل فلسفة مقبلة وبهذا نجد أمامنا نظاماً من التعاليم الظاهرية التي تقوم على قاعدة أساسية ليست هى بديهية الأنا أفكر، بل الوعى الكامل التام والكلى للذات نفسها. وبعبارة أخرى، فإن الطريق الذى يؤدى إلى معرفة الأسس الأخيرة بأوسع معنى للكلمة، أي بمعنى أن العلم الفلسفى هو الطريق نحو الوعى الكلى لوعي الذات بذاتها، أي بالوحدة الذاتية أولاً التي أهملتها الفلسفات، وأغفلتها معظم الأنساق الفلسفية، ثم بالاشتراك بين الوحدات الذاتية ثانياً. ويكون ذلك عن طريق العودة المباشرة إلى الذات بالرد وفقدان العالم مؤقتاً. ويقصد بالرد الفينومينولوجي هو تعليق كل الأحكام المسبقة والتوقف عن إصدار حكم حولها،هته العودة إلى الأصول ستطرح أما هوسرل مشكلا، هو هل الفينومينولوجيا هي قادرة على الاستمرار في تأسيس نسقها، والذهاب نحوى حلمها المنشود بان تصير علما صارما دون أن تكون في حاجة إلى الرجوع إلى البدء الفلسفي ، ومعاودة سؤاله الذي كان يطرح على مر عصور التفكير الفلسفي؟ أم أنها تحتاج ذلك الارتداد الفلسفي إلى الماضي ومساءلة أصولها وبدايتها.

قائمة المراجع:

1. ادموند هوسرل،(2002) الفلسفة علما دقيقا، ط1، ترجمة وتقديم: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

2. ادموند هوسرل،(2005) فكرة الفينومينولوجيا ، ترجمة : فتحي انقزو، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2005.
3. ادموند هوسرل(2008)، أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا المتعالية، ط1، ترجمة: إسماعيل مصدق، المنظمة العربية للترجمة، ، بيروت.
4. ادموند هوسرل،(2010) مباحث منطقية مقدمات في المنطق المحض، ط1، الكتاب الأول، ترجمة: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت.
5. فتحي انقزو،(2002)، هوسرل واستئناف الميتافيزيقا، دار الجنوب، تونس. فتحي
6. انقزو،(2006) هوسرل ومعاصروه من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب.
7. علي لحبيب الفروي،(2008)،مارتن هيدغر(الفن والحقيقة)،ط1، دار الفرابي، بيروت.
8. محمد محسن الزارعي(2009)، هوسرل والمسالة المثالية، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت.